الباب الثاني: في الفنّ والأدب

فنّ الأدب

تمهيد:

- الأدب هو أحد أشكال التعبير الإنساني عَنْ مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية التّي تتنّوع من النثر إلى الشّعر لتفتح للإنسان أبواب القدرة على التعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر. وفي الأدب أجناس عدة منها:

الشّعر:

تعريفه: عرّفه ابن طباطبا بأنّه: «كلام منظوم بائن عن المنثور الذّي يستعمله النّاس في مخاطبتهم» وهو «ما إن عُرّي عن معنى بديع لم يعرَ من حسن ديباجته... وما خالف هذا فليس بشعر». وهو حسب ابن رشيق مكوّن من أربعة أشياء بعد النيّة: «اللّفظ والوزن والمعنى والقافية، لأنّ من الكلام موزونا مقفّى وليس بشعر لعدم القصد والنيّة».

أنواعه: القصيدة العموديّة - الأرجوزة - الموشّح - القصيدة الحرّة

النثر:

تعريفه: هو الكلام الذّي يجري على السليقة من غير التزام وزن.

أنواعه: أشهرها

- الخطابة (خطب الرّسول، خطب عليّ بن أبي طالب، خطب زياد بن أبيه...).
- التّرسّل (رسالة الصّحابة لابن المقفّع، رسالة الغفران لأبي العلاء المعريّ).
- الحكاية المثليّة (كليلة ودمنة).
- النادرة (بخلاء الجاحظ).
- المقامة (مقامات بديع الزّمان الهمذاني ومقامات الحريري) إضافة إلى المقالة وغيرها.

الفرق بين الشعر والنثر

أوّلا: من الناحية التاريخية:

- سبق الشّعر النثر في الوجود وكان لغة الإنسان الأوّل حين كان يعيش بعاطفته الطبيعية قبل أن

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

ينضج عقله بأسباب الحضارة والثقافة والتجارب، فلمّا تقدّمت به الحياة وتمدّن نضج عقله واضطرّ إلى النثر الذّي يتّسع لحاجته النثرية بجانب حاجته الشّعريّة.

ثانيا: من الناحية الموضوعيّة:

النثر أمْيل إلى التقرير والتوضيح نظرا لطبيعته الغالبة والشّعر إلى التأثير نظرا إلى طبيعة العاطفة الغالبة.

ثالثا: من الناحية المعنويّة:

- العاطفة عنصر الشّعر الأوّل والحقيقة عنصره الثّاني، أما في النثر فتأتي الحقيقة قبل العاطفة.

رابعا: من الناحية الصورية:

- في الشّعر كثير من الخيال وهو في النّثر أقلّ وأضعف، فأما الأسلوب فمظاهره واضحة في الوزن والقافية، وفي رشاقة الكلمات وبراءتها من التنافر والابتذال وتحرّرها من بعض القوانين العلميّة.

فنّ العمارة والزّخرفة

- العمارة، كما قيل منذ القدم، هي أم الفنون لأنّها تجمع بين فن البناء والنحت والرّسم والخط والزخرفة، وكما أخذت كلّ الفنون من بعضها بعضا، فقد أخذ فنّ العمارة العربي الإسلاميّ أوّل الأمر عن الحضارة الهيلنيستية التّي كانت سائدة قبل الإسلام في الأماكن الواقعة تحت نفوذ الإمبراطورية الرّومانية، ثمّ ما لبثت أن تطوّرت العمارة العربية الإسلاميّة وأخذت طابعها الخاصّ الذّي يعكس جوهر الفكر العربي الإسلاميّ.

- تأثرت العمارة العربية تأثرا كبيرا بالدين الإسلامي والنهضة العلميّة التّي تبعته. واختلفت من منطقة إلى أخرى تبعا للمناخ وللإرث المعماريّ والحضاري السّابق في المنطقة، حيث ينتشر الصحن المفتوح في الشام والعراق والجزيرة العربية بينما اختفى في تركيا نتيجة للجوّ البارد وفي اليمن بسبب الإرث المعماري.

* عمارة صدر الإسلام

-عند ظهور الإسلام خصّص النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم مبنى خاصّا للتّعبد هو المسجد، وانتشرت المساجد في عهد النّبي حتّى شملت كلّ أجزاء الجزيرة العربية، وازداد انتشارها

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

بفضل الفتوحات الإسلاميّة، وكانت العمارة مستمدّة من فنون العمارة في العصر الجاهلي.

* عمارة العهد الأمويّ

- اتّخذ بنو أمية مدينة دمشق عاصمة للعالم الإسلامي، ودمجوا ما لديهم من فنون العصر الجاهلي في الجزيرة العربية مع فنون البناء عند الغساسنة، وكانت آثار الغساسنة بدورها متأثرة بالعمارة البيزنطية والسّاسانية، فالطّراز الأمويّ يمثل مرحلة انتقالية من الفنون المسيحية في الشرق الأدنى إلى الطراز العباسي.

- وتتميّز القصور الأُمويّة بالنّحت الملوّن أو غير الملوّن، وبالرّسوم الفسيفسائية والتّلوينية، التّي مازالت ماثلة آثارها في قصر الحير الغربي في بادية الشّام، وهو قصر له بوابة وأبراج ذات طراز مميّز وكذلك مدينة الرّصافة التّي تعدّ نموذجا رائعا من فنّ العمارة الأمويّة، وقصر المشتى بجنوب عمان وهو مستطيل التخطيط محاط بأبراج نصف دائرية ويوجد به من الداخل أفنية للتهوئة بدلا من النوافذ على الخارج وذلك لضمان الخصوصية والأمان.

إضافة إلى الجامع الأموي بدمشق درّة الأبنية الإسلاميّة في ذلك العصر، تخطيطه مستطيل وله قبّة مهيبة تسّمى قبة النّسر وثلاثة مآذن، في جانب القبلة توجد عدّة أروقة مسقوفة تتوسطها القبة ويوجد به صحن مستطيل مكشوف يتوسطه بناء سداسي الشّكل مزخرف قائم على أعمدة ويحفل الجامع بفنون العمارة العربية الإسلاميّة.

* عمارة العهد العباسي

- بدأ في هذا العصر العمل على تخطيط المدينة بشكل عامّ بدلا من التّخطيط لكلّ مبنى على حده، ومدينة بغداد خير مثال على هذا، إذ خططت تخطيطا دائريا حتّى سميت بالمدينة المدوّرة وتحتوي على أربعة مداخل منها باب خراسان وباب البصرة وباب الكوفة.

- بعد ذلك أتيح للحضارة العربية الإسلاميّة، أن تؤدي ما عليها من دين للحضارات التّي سبقتها، فأثرت الأساليب المعماريّة العربية الإسلاميّة في العصور الوسطى، إذ أعجب الحكام والفنانون الغربيون بالعمارة والزخرفة الإسلاميين، فمثلاً أرسل الإمبراطور «تيوفيلوس» سفيرًا في القرن التّاسع إلى بغداد لدراسة فنّ العمارة الإسلامي، وبنى في العام 835 م قصرًا بالقرب من بوابات القسطنطينية على طراز قصور بغداد، وخططت الحدائق على نمط الحدائق العربية الإسلاميّة.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

- ونرى أثر العمارة العربية الإسلاميّة واضحًا في كنيسة مدينة سرقسطة التّي بناها في القرن السّادس عشر الميلادي طائفة من المسلمين عملت تحت حكم المسيحيين بعد سقوط الأندلس وقد بُنيت بالطوب، أمّا برج الكنيسة فيشابه في تخطيطه المآذن في المساجد الأندلسيّة في شمال إفريقيا، وخصوصا مئذنة مسجد القيروان.

- كما كان المقياس الإنساني في العمارة العربية الإسلامية منسجمًا مع الثوابت المُناخية والتقاليد وروح الحضارة العربية الإسلاميّة، ويتجلّى المقياس الإنسانيّ الذّي قامت عليه العمارة العربية الإسلاميّة في حماية الإنسان منْ عوارض الطبيعة والتلوّث والضّجيج والرّوائح، ولقد استطاع المعمار العربي الإسلامي أن يطوّع العمارة لتحقيق هذه الحماية.

- إنّ أهمّ عنصر في المبنى العربي الإسلاميّ هو الفِنَاءُ الداخلي، وفي المساجد يسمّى الصحن. وهذا الفِناء يشكّل القسم المنفتح على السّماء مباشرة، وعليه تطلّ الأبواب والنوافذ في طابقين، ولا يدخله تيّار خارجيّ، إذ يصله بالباب الخارجيّ المطلّ على الشّارع دهليز متعرّج، وهكذا فإنّ الهواء لا يتسرّب إلى داخل الفناء، وكذلك الرّياح والدّخان والغبار، ولقد أثبتت التّجارب أنّ حركة الهواء العلويّة تبقى محوّمة فوق الفناء لا تتمكّن من اختراقه إلاّ إذا كان الدِّهليز والباب الخارجيّ مفتوحين، وهذا يعني أنّ الهواء العلويّ سواء كان حارًا أو باردًا، نظيفًا أو ملوّثًا، فإنّه لا يؤثّر على حرارة جوّ الفِناء وعلى نقاوته.

- وفي جميع المباني كانت المياه وسيلة نظافة وترطيب ومتعة عندما كانت تتدّفق من الفوّارات والفسقيّات والبرك المختلفة الأشكال. ولقد درس اتجاه المبنى لكي يتفق مع الحاجة إلى دفء الشّمس ونورها، ومع ضرورة الوقاية من دخان المطابخ وروائح المراحيض.

- تمتاز العمارة العربية الإسلاميّة بخصيصة تطلق عليها اسم خصيصة (الجَوَّانية)، فأيّ مبنى سواء أكان مسجدًا أم مدرسةً أم مسكنًا، فإنّه يحمل الطّابع الجواني بمعنى أنّ عمارته الخارجيّة أقلّ شأنًا من عمارته الداخليّة، ونرى ذلك في المساجد الأولى، كالجامع الأمويّ بدمشق وجامع عقبة في القيروان وجامع قرطبة، كما نراه بشكل شامل في المساكن والقصور.

- وقد تأثّرت فلسفة العمارة العربية الإسلاميّة بتعاليم الدّين الحنيف التّي تحثّ على التّواضع وتجنّب التّباهي وعدم المساس بشعور النّاس عن طريق الظهور بمظاهر التّفوق فأعرضت عن

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

ظاهر البيت ليكون بسيطا تظهر عليه سمات التّواضع والتّقشّف واتّجهوا بعناية إلى داخل البيت إلى عالم يحقق لهم سكينتهم ومتعتهم، فتفردت العمارة العربية الإسلاميّة بتفضيل العمارة الداخلية على العمارة الخارجية، فوجدنا داخل المبنى زاخرًا بروائع الزخارف المنتشرة على الجدران والأفاريز والأعمدة والنوافذ والأبواب، وفي البرك والفسقيات، وفي الحدائق والأحواض التّي تفوح منها رائحة الزهور والياسمين، وتتغرس فيها أشجار الليمون وعرائش العنب، حتّى أصبح المسكن فردوسَ صاحِبِهِ، وفي الأثر «جنّة الرجل داره».

- لا نكاد نجد أثرًا معماريًا عربيًا إسلاميًا واحدًا لم يزخرفه الفنانون المسلمون بأنواع الزخارف المختلفة. وتعتبر الزخرفة العربية الإسلاميّة المعروفة باسم الأرابيسك من أهمّ هذه العناصر الزخرفيّة الخالدة في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، بل وتعدّت هذا النطاق الجغرافي والحضاري لتغزو الفنون والعمارة الأوروبيّة.

فنّ الخط والزّخرفة والرّسم

* الخط

- الخط العربي فنّ الكتابة وتصميمها ، وتتميز الكتابة العربية بكونها متصلة مما يجعلها قابلة لاكتساب أشكال هندسية مختلفة من خلال المدّ والرّجع والاستدارة والتّزوية والتّداخل والتّركيب.

- أخذت الخطوط العربية تسمياتها إمّا نسبة إلى أسماء المدن كالنبطي والكوفي والحجازي والفارسي، أو أسماء مبدعيها، كالياقوتي والمستعصمي، والريحاني والرياسي، والغزلاني، كما سميت أيضا نسبة لمقادير الخط، كخط الثّلث والنّصف والثلثين، إضافة إلى تسميتها نسبة إلى الأداة التي تسطرها، كخطّ الغبار.

يعتمد الخط العربي جماليا على قواعد خاصة تنطلق من التناسب بين الخط والنقطة والدائرة.

* الزّخرفة والنّقش

- لما انتشر نور الإسلام، استمر العرب في النحت، ولكنّ نوع النحت والهدف منه قد تغيَّرا. وارتبط النحت الإسلامي بالعمارة، فنحت الفنانون ما يوافق التوجه الإسلامي. ومن ذلك واجهة قصر المشتى، الذي أنشئ في العصر الأموي بالأردن على طريق الحج القديمة بين

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

دمشق ومكة المكرّمة، وقد أخذت الواجهة إلى ألمانيا وتوجد اليوم في متحف الدولة ببرلين. والأشكال المنحوتة على هذه الواجهة تتكون من زخارف متباينة متداخلة ومترابطة بعضها مع بعض، وتشمل بعض الأشكال المجردة المستوحاة من الحيوان والإنسان.

- إلى جانب الحجارة والجص، استخدم النحاتون المسلمون الخشب، وحفروا عليه الزخارف والخطوط. وكذلك العاج والعظم ونحتوا منها الأبواق والصناديق والعلب، وحشوا بها الأبواب وزخرفوا بها الأثاث مستخدمين أساليب التطعيم والتجميع والترصيع.

- وقد وُظّفت الزّخرفة لتزيين المساجد والقصور، كما استعملت في تحلية المخطوطات والكتب وخاصّة نسخ القرآن الكريم، وقد شهد هذا المجال إقبالا من الفنانين المسلمين بسبب نهي الشّريعة عن رسم البشر والحيوان خاصّة في ما يتّصل بالأماكن المقدّسة والمصاحف.

- أما الرسم عند العرب المسلمين فلم يكن محصورًا في مجال تزيين الكتب فقط، بل تعداه إلى تزيين جدران المساكن، بل وجدران المساجد أيضًا، فالمسجد الأموي بدمشق تزخر بواباته برسوم الأشجار الجميلة والمياه، وغير ذلك من المناظر الطبيعية الخلابة التي تدل على مهارة الفنان الذي نفّذها.

فـنّ الرسم

- من أهمّ الرّسوم العربيّة القديمة، ما رسمه الفنّانون لتزيين الكتب، ولتوضيح بعض الأفكار أو الأشكال المذكورة في ثنايا القصص. ولم يقتصر فن الرسم عند العرب على مثل تلك الرسوم التوضيحية، التي صاحبت بعض القصص المشهورة كما في كتاب كليلة ودمنة، على سبيل المثال، بل تعدَّتها إلى الرسوم العلمية أيضًا. أما الغرض من اللجوء إلى الرسم في القصص وكتب العِبَر فقد جاء ذكره في مقدمة كتاب كليلة ودمنة، إذ يذكر مترجم الكتاب عبد الله بن المقفع أن من أغراض كتابه إظهار خيالات الحيوان بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أُنْساً لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور، وأن يكون كذلك، محبَّباً لدى العامة والسُّوقة، فيكثر بذلك انتساخه، ويبقى مطلوباً من جميع طبقات المجتمع في سائر العصور، ولينتفع بذلك المصور والناسخ على مرِّ الدهور..

- أما الرسوم التي وُجدت في الكتب العلمية فقد كانت تهتم بالجانب العلمي، وتركِّز عليه. وكانت هذه الرسوم العلمية متنوّعة، بتنوُّع الموضوعات فمنها ما وضَّح به الرسامون أنواع النبات

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

المختلفة وفروعها وأوراقها وأزهارها وثمارها، ومنها ما وضّحوا به بعض الأشكال الهندسية، كما في كتاب ابن الجزري المسمّى «كتاب الحِيَل الجامع بين العلم والعمل». ويشمل هذا الكتاب مخترعات ابن الجزري من الحِيل الآلية ويصف الآلات الضاغطة والرافعة والناقلة والمتحركة واستخداماتها، وما يتّصل بتركيبها من صور آدمية وحيوانية ورسوم طير.

- توجد أيضًا الكتب الجغرافية والطبّية التي لجأ مؤلّفوها إلى الفنّانين، فأكملوها لهم بالصّور التي تساعد على توضيح الموضوع الذي يتناوله المؤلّف بالبحث والدّرس. ومنها أيضًا الكتب التي تتحدّث عن علم الفلك. وهذه الكتب تحتوي على صور توضّح البروج والنجوم والكواكب.

فنّ الموسيقى

- رغم أنّ الموسيقى لغة عالمية، واللغة الوحيدة التّي تفهمها جميع الشّعوب على اختلاف ثقافاتها، فإنّ لكلّ ثقافة تراثها الموسيقي الذّي يمثّل هويتها وقيمها، ويميّزها عن غيرها. ولذلك قيل «إنّ الشعوب لا تنسجم إلاّ مع فنونها وتراثها».

- والشعوب العربية الإسلاميّة كغيرها من الشّعوب اهتمّت بإرثها الموسيقي لأنّه جزء من ثقافتها وتاريخها الحضاري، وحاولت جاهدة الحفاظ على هذا التراث، وقد مرّت الموسيقى العربية بمراحل متعدّدة، وتركت الدراسات الإسلاميّة المبكرة التّي قام بها كلّ من الكِندي والفارابي ثروة من الوثائق التّي تحوي نظريات علميّة هامّة أخذتها عن الحضارات القديمة (الإغريقية والفارسية) ثمّ طوّرتها إلى ما يعد الآن أساس الموسيقى العربية.

- اهتمّ العرب اهتماما بالموسيقى ونظروا إلى هذه الصناعة نظرة إجلال واحترام وحظي المجيدون فيها بكلّ عناية وتقدير، وشغف بها الخلفاء والأمراء والقضاة والفلاسفة والعلماء وأعطوها حقّها من الرعاية والتقدير.

- استتبع الاهتمامَ بالموسيقى ابتكارٌ في صناعة الآلات الموسيقيّة، فقد حقّق العرب منجزات كبيرة في علم الحيل وتقنية الآلات وجعلوا من صناعة الآلات الموسيقيّة فنّا رفيعا ولعلّ من أهمّ الإنجازات في هذا المجال إضافة زرياب إلى أوتار العود الأربعة وترا خامسا، وفي أواخر القرن التّاسع ميلادي وضع أبناء موسى بن شاكر أسس الموسيقى الميكانيكية وقواعدها.

- تؤكّد بعض الروايات التّي وردت في الأغاني وإحياء علوم الدّين والعقد الفريد أنّ الجمل

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

يغيّر خطواته بحسب تغيير الإيقاع والوزن، والغزال تسهل قيادته بالألحان، والحيات تنسحر، والنمل يرتمي في النار، وبعض الطيور تهوي ميتة على صوت الموسيقى.

- وظّف الأطباء العرب والمسلمون الموسيقى في الطّب العقلي، والطّب النفسي والجسدي منه استخدامهم السماع (الموسيقى والغناء في تطبيب المصابين بضروب من الخبل أو العته...

* الإسلام والموسيقى

- من المسائل المحيرة في الإسلام موقفه من الموسيقى وقد تجادل الفقهاء والعلماء قرونا حول نظرة الإسلام إلى الموسيقى، فمنهم من دلّل على أن الإسلام حرّمها ومنهم من أثبت بالحجة والقول والبرهان أن الإسلام شرّعها وحلّل ممارستها.

* مسوّغات الموسيقى

- من المسلّم به عدم وجود أيّة كلمة كراهيّة مباشرة للموسيقى في القرآن الكريم.

أوّلا: التحريم لا يكون إلاّ بنص صريح ولم يوجد في القرآن الكريم تحريم صريح، فاللّه تعالى حين أراد تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير حرمها بلفظ صريح «حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير اللّه به»... وحين أراد تحريم الزّنى حرّمه بلفظ صريح «ولا تقربوا الزّنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا» فلماذا لم يأت في الغناء نصّ صريح مثل هذه النصوص مع شيوعه وانتشاره وابتلاء النّاس به من قديم؟!!

ثانيا: لا يحرّم اللّه طيبا في الإسلام: إنّ اللّه تعالى أوجد الطيّبات لمنفعة عباده ولذّتهم وقد ذكرها في كتابه ممتنّا بها عليهم وما كان اللّه ليمتن بها عليهم ثمّ يحُول بينهم وبينها بتحريمها عليهم. يقول تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات». فجعل هذه الطيبات من لوازم التكريم لبني آدم.

والطيبات ما تستطيبه الأنفس وتستلذه ويشمل طيبات المأكولات والمشروبات والملبوسات والمشمومات والمرئيات والمسموعات.

- لو تأملنا لوجدنا حبّ الغناء والطرب للصوت الحسن يكاد يكون غريزة إنسانيّة وفطرة بشريّة، حتّى إنّنا لنشاهد الصبي الرّضيع في مهده يسكته الصوت الطيب عن بكائه، وتنصرف

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه ولذا تعودت الأمهات والمرضعات والمرّبيات الغناء للأطفال منذ زمن قديم، بل إنّ الطيور والبهائم تتأثّر بحسن الصّوت والنغمات الموزونة حتّى قال الغزالي في الإحياء: «من لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور وجميع البهائم، إذ الجَمَل مع بلادة طبعه يتأثّر بالحداء تأثرًا يستخف معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر لقوّة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه. فترى الإبل إذا سمعت الحادي تمدّ أعناقها، وتصغي إليه ناصبة آذانها، وتسرع في سيرها، حتّى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها».

- إنّ تجويد القرآن يمثّل قمّة الفنّ الأدبي، وقراءته وسماعه عند من عقل وتأمّل إنّما هما غذاء للوجدان والرّوح لا يعدله ولا يدانيه غذاء، وليس هذا لمضمونه ومحتواه فقط، بل لطريقة أدائه أيضا، وما يصحبها من ترتيل وتجويد تستمتع به الآذان، وتطرب له القلوب، وخصوصًا إذا تلاه قارئ حسن الصّوت، ولهذا قال النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم لأبي موسى: «لقد أوتيتَ مزمارًا من مزامير آل داود».

- لا مراء في أنّ الفنّ كالعلم، يمكن أن يستخدم في الخير والبناء، أو في الشرّ والهدم، وهنا خطورة تأثيره ولأنّ الفنّ وسيلة إلى مقصد، فحكمه حكم مقصده، فإنْ استخدم في الخير فهو خير، وإن استخدم في الشرّ فهو شرّ.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math